الباب الثاني

لمحة عن إبن الرومي و أشعاره

الفصل الأول: حياته و نشأته

ابو الحسان علي بن العباس بن جريج, و قيل جورجيس, المعروف بابن الرومي, مولى عبدالله بن عيسى بن جعفر بن م نصور, الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب. ولد في بغداد سنة ٢٢١ه في الموضوع المعروف بالعقيقة و درب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر, و كانت ام ابن الرومي حسنة بنت عبدلله السجزي (السجستاني) فارسية.[1]

نال ابن الرومي طرفا صالحا من علوم العربية كاللغة و النحو والأدب و من العلم العقلية و الطبعية, كما الم بأخبر الفلاسفة و بعلم الكلام. ولكن من الىتحمل البعيد ان ننسب اليه معرفة باللغة اليونانية او اللغة الفارسية. و كان

[1] عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,340

ابن الرومي من كتاب الدواوين, ولكن الشعر غلب عليه فلم يعرف الا بالشعر.[2]

و تزوج ابن الرومي مرتين و رزق من زوجتيه كلتيهما اولادا. ولكنه لم يكن وادعا في زواجه ولا سعيدا في ما رزق من اولاد. و قد توفيت احدى زوجتيه في حياته و معظم اولاده ايضا. و كذلك توفيت امه في حياته و توفي اخوه الذي كان يعينه على الحياة فالسقر في نفسه من اجل ذلك كثر من التثاؤم و النقمة. و كان ابن الرومي يخاف الأسفار و ما فيها من الأحطار فلم يغادر بغداد الا مرة واحدة زار فيها سامراء, على اربعين كيلومترا من بغداد شمالا.[3]

و توفي ابن الرومي مسموما, تولى وضع السم له ابو فراس الكاتب بأمر القاسم بن عبيد الله وزير الخليفة المعتضد. و كانت وفاته بالجنب الشرق من بغداد في جمادى الأولى ايضا من سنة ٢٨٣ه (٨٩٤م).[4]

---

[2] عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,340
[3] 340 عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,341
[4] عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,341

التحق ابن الرومي بكتاتبه عصره, و بخلقات التدريس من المساجد, فحفظ ما تيسر من القران الكريم و من محترات الشعر و الحفظ و تعلم اصول الحساب, كما استفاد ابن الرومي من مناظرات العلماء من النحويين و الفقهاء. كما اطلع على كتب المنطقيين و الفلاسفة و المنجمين, و في شعره اشارات واضحة تثبت اطلاعه على مثل هذه العلوم.[5]

قاله في كل غرض و الوصف و الهجاء, و نبغ في الشعر نبوغا لم يقصر به كثيرا عن درجته البحترى, و ربما فاقه في اختراع المعانى النادرة او توليدها من معاني من سبقة بشكل جديد, و وضعها في احسن قالب و له ديوان كبير.[6]

و ذكر ابن رشيق ان ابن الرومي كان كثير الطيرة: ربما اقام المدة الطويلة ولا يتصرف تطيرا بسوء ما يراه او يسمعه, حتى ان بعض اخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله في الطرة, فبعث اليه خادما اسمه اقبال ليتفائل به. فلما اخد

[5]احمد حسن بسج,ديوان ابن الرومي,ص,8
[6]جواهر الأدب في ادبيات و انشاء لغة العربية 452-451

(ابن الرومي) اهبته للركوب قال للخادم: انصرف الى مولاك, فأنت ناقص, و منكوس اسمك: لابقا لا بقى.[7]

و ابن الرومي ميال الى استيفاء المعنى في مكان واحد من القصيدة (و هذا ما يسميه بعضهم «وحدة الموضوع»), اذا تراه يعالج المعني احيانا و يناقشها و يجمع اطرافها يربط بعضها ببعض زبطا يكاد يكون منطقيا حتى ليخيل اليك انه يكتب مقالة لا يترك فيه ناحية.[8]

لعل ظروف حياته المعقدة, و تلاحق الأزمات, وفاة والده و ولدته و اخوه ثم ابناؤه, كل ذلك ترك في نفسه اثارا سيئة, لم يستطع عليها صبرا, و مما زاد في تأثيره و انفعاله, ظلم الناس له, و تخلي الأصدقاء عنه, فتشاءم من كل شيء, و صار ضيق الصدر سريع الأنفعال, و انعكس ذلك على شعره, اذا يمدح اليوم و يهجو ممدوحه غدا. و في الأخبار التي ينقلها معاصروه ما يثير الدهشة لشدة

[7] عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,341
[8] عمر فروخ,تاريخ الأدب العربي,ص,342

تطيره, وكأن خللاً عقليا كان ينتابه, من ذلك انه كان يتشاءم من بعض الأسماء فإذا قيل له جاءك مرة, اغلق بابه على نفسه و لم يخرج.[9]

و مما كان يتطير منه ركوب البحر حتى غدا يتشاءم من الماء عموما يقول:

لقيت من البر التباريح بعدما لقيت من البحر ابيضاض الدوائب[10]

ولكن, البعض من المؤر خين والرواة بالغوا في وصف طيرته, ولا اظن انه كان كما وصفوه, خصوصا في تطيره من الماء, فهو عندما ذكر اهواله البحر, و مثله تهديد الخان بالسقوط, لم يكن على وجه التطير بقدر ما كان يريد ان يصور مدى بؤسه و شقائه لاستدرار عطف الممدوح.[11]

[9]احمد حسن بسج,ديوان ابن الرومي,ص,8
[10]احمد حسن بسج,ديوان ابن الرومي,ص,8
[11]احمد حسن بسج,ديوان ابن الرومي,ص,8

الفصل الثاني: اخلاقه

وصف نفسه في شعره فإذا هو: جميل الوجه, ابيض اللون, اسود الشعر, حسن القامة معدولها. و إذا هو دقيق الحس, عصبي المزاج, كثير التردد و التشائم سريع الغضب, ولكنه سريع الرضى, طيب القلب, صفوح إذا ما إسترضى. و كان يحب الحياة و يتعشقها مع ما لقي فيها من بؤس و شقاء. و الحياة عنده, لذة يتطلبها و يستمتع بها. و اللذة عنده شهوة الى الجمال يتبعه اينما بداله.[12]

فيستعد به في وجوه الملاح, و في اصوات المغنين و القيان, و في الطبيعة و ما عليها من صور و الوان. و اللذة عنده شهوة الى المآدب, فهو منهوم لا يشبع من طعام و فواكه و شراب. بيد ان الشاعر لم يوفق في حياته, فلم ينل ما كان يؤمله من المال و الحضوة لدى دوي الشأن. و لم يصل الى ما كان يطمح اليه في المجتمع.[13]

و رافق هذا الإخفاق, ضيق في خلقه, واضطرب في اعصبه, و خلل في مقاييسه العقلية, و ميل ساذج أخرق الى التشاؤم و التطير, كثيرت فيه النوادر

---

[12], ص, 9 جورج عبدو معتوق,ابن الرومي
[13] جورج عبدو معتوق,ابن الرومي,ص,9

و الأقاويل, على شيب مبكر, وصلع فاضح بغيض, في نضره, كان يستحي به, فيعمل على ستره بعمامة:

عزمت على لبس العمامة حيلة

لتستر ما جرت علي من الصلح [14]

الى ادواء و علل متعاقبة, ظاهرة و خفية و تارت حواسه, و صفرت وجهه, و ازاغت بصره, و أضعفت سمعه, و اوهنت قواه و قوست ظهره:

و اضحت قناة الظهر قوس متنها

و قد كان معدولا, و إن عشت فخخا

و احدث نقصان القوى بين ناظري

و سمعي و بين الشحص و الصوت برزخا

و غربلت مشيته:

إن لي مشية أغربل فيها

امنا ان اساقط الأسقاطا

[14] جورج عبدو معتوق,ابن الرومي, ص 10-9

الفصل الثالث: لمحة عن رثاء ابن الرومي

كان الرثاء نوعان: رثاء خاص, يصف به الشاعر حزنه و لوعته على عزيز فجع بفقده. و رثاء عام يشيد فيه الشاعر بما ثر عظيم ادركته المنية, فيصف فادح المصيبة فيه. و قد توسع النقاد في معنى الرثاء فألحقوا به الشعر الذي يتفجع به لكارثة شعب او دولة او مدينة كرثاء ابن الرومي للبصرة.[15]

و رثاء ابن الرومي قسمان: قسم قاله الشاعر في اهله, و قسم قاله في غير اهله. فأم هذا الأخير ففيه تكلف كثير و هو مجرد من العاطفة. و اما الرثاؤه في اهله فشعر صحيح فيه عاطفة و لوعة, و في اثنائه تحليل بارع. و ابن الرومي في رثائه هذا يحلل ما يشعر هو به في ساعة الرزء و بعدها: ان الرثاءه صورة صادقة لنفسه في الدرجة الأولى ثم للميت في الدرجة الثانية.[16]

---

[15] جورج عبدو معتوق,ابن الرومي,90

[16] الدكتور عمر فروح,المنهاج الجديد في الأدب العربي,ص,83

و العجيب ان فن ابن الرومي يتغلب على عاطفة حتى في رثاء اولاده, فإنك إذا قرأت مرثيته في ابنه الأوساط و هي اجل مراثيه رايت العبقرية الفنية تطغى على عاطفة الأبوة.[17]

ويختم ابن الرومي هذه المرثية بصورة بارعة تمس العاطفة مسا مؤلما: في العادة ان الإنسان اذا فقد شيئا من اشياء يملكها, فإن الأشياء الباقية تنسي الإنسان ما فقده. غير ان هذه القاعدة معكوسة تماما

فيما يتعلق بالأولاد: إن الإخوة الأحياء لا ينسون الأب ابنه الذي مات, بل يدكرونه به دائما.[18]

ليست هذه القصيدة مرثية كالمراثي المألوفة: تفجعا على الميت و بكاء و نحيبا. انها في الحقيقة قصيدة في الوصف: هي وصف حسي لطفل مريض قبل ان يموت, ثم تحليل نفسي لشعور الوالد المفجوع قبل موت طفله المريض و بعد موته.[19]

---

[17]الدكتور عمر فروح,المنهاج الجديد في الأدب العربي,ص,83
[18]الدكتور عمر فروح,المنهاج الجديد في الأدب العربي,ص,98
[19]الدكتور عمر فروح,المنهاج الجديد في الأدب العربي,ص,98

أول ما نلاحضه في هذه القصيدة ان المعاني فيها كثيرة متلاحقة و مع ان كثيرا من هذه المعاني قديم معروف في الرثاء كبكاء العينين (عند الخنساء مثلا) واختيار الموت لأفاضل الناس. و النفس التي تساقط (بفتح تاء المضارعة : يموت صاحبها موتا باطيئا) او تساقط انفوسا (بضم التاء : يموت بموتها كثيرة حزنا عليها).[20]

يمتاز شعر الرثاء عند ابن الرومي بنشوة الإيقاع في الموسيقى المتألقة الخالدة, و بأخده من نوعي الرثاء, اللذين اشتهرا لدى الشعراء العرب. فثمة رثاء يعبر عن مأساة النفس تحت وطأء الفجيعة, وما يخالجها من أسى و قنوط و خيبه, كون القيد عزيزا على قلب الراثي. و رثاء أخر يأتي على شكل انسياق و تبعية و تقليد لما عرف بدافع المجاملة و المسايرة, المقتبسة من ذاكرته المختزنة للخصال الحميدة, بحيث ينظمها بأشكال مختلفة, ينسبها للميت, أكان جديرا بها ام غير جدير.[21]

[20]الدكتور عمر فروح,المنهاج الجديد في الأدب العربي,ص,98
[21]الدكتور عبد المجيد الحر,ابن الرومي,160

قد عرف شعر الرثاء عند شاعرنا, كلا النوعين معا, رغم ما في شعره من يتغلب للصدق و الوجدانية, تعطي أتم بيانا للموصف, و أوفى وعيا للصورة و تضمنت قصائد الرثاء عند ابن الرومي, موضوعات مختلفة, تتناول: الخلفاء و الأمراء, في رثائه الرسمي. وزعماء الشيعة و من انتمى اليهم, في رثاء السياسي. و النوائب و المصائب التي تلم بالمواطنين في رثاء المدن.[22]

لقد عرف ابن الرومي, الشعر الرسمي الذي يغدق صفاته, في رثاء من هم من اهل الحكم, إما تكسبا, و إما تودادا, و توصلا لغاية و غرض. و هذا النوع من الرثاء, توسل الصور المتعارف عليها لدى جميع الشعراء, في رسم صورة مثاليةللميت, تعتمد على المعاني المطلقة المستقلة, المصورة-عادة- في صورة جعل الخسارة فادحة لا تعوض, وجعل الفقيد انسان جود و كريمو فضائل, هيهات ان يأتي الزمان بمثلها. و في هذا الصدد يقول ابن الرومي في وصف امرىء ثرثية:

سويت في الحزن بين العالمين,كما

سويت بينهم في العيشة الرغد

[22]الدكتور عبد المجيد الحر,ابن الرومي,160

بشت شجوك فيهم, إذفقدت, كما

بشت رفدك فيهم غير مفتقد[23]

يعدد الشاعر فضائل المرثي, و يدكر العيون التي فاضت دموعها حزنا على فقده, و تأرقت إثره و جعلت تتحرق كأنها رمداء كحلت سما. و هو هنا يجري على عادته بتفصيل المعاني و تجزئتها و هو إذا يسير في مزاوجه المعاني و مناقضتها, فإنه ينظر اليها بعين العالم الذي يستنتجىمن واقع الأشياء, دون ان يتصل به او يشارق فيه. و مراثيه التي يتوجه بها الى صديق او ممدوح, تأتي حكمية, يستحلص السامع منها,عظة مأخودة من واقع الحياة. و هذا نراه في قصيدته التي يعز بها آل حماد بن اسحاق» القاضى.[24]

[23]ادكتور عبد المجيد الحر,ابن الرومي,ص,169-168
[24]الدكتور عبد المجيد الحر,ابن الرومي,170